

أحاديث رمضان ١٤٢٥ هـ - ومضات ولقطات إيمانية - الدرس (٢٠-٦٤) : الأخلاق

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٤-١٠-٢٠٠٤

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

## الخلق :

أيها الإخوة الكرام ، من لوازم المؤمن أنه ذو أخلاق ، ذلك أن الأخلاق في تعريفها الدقيق : هي ضبط للسلوك .

فإنه عز وجل أودع في الإنسان الشهوات ، وسمح له أن يتحرك بها من دون قيد أو شرط ، لكن التشريع الحكيم ألزمه بحيز ينبغي ألا يتعداه ، الإنسان يستطيع أن يمارس أية شهوة أودعها الله فيه بشكل كامل ، إلا أن الشريعة الغراء سمحت له في علاقته بالمرأة بالزواج فقط ، وفي كسبه للمال بكسب المال الحلال ، وفي أية شهوة أودعت في الإنسان سمح له أن يمارسها ضمن قناة نظيفة ، هي التشريع الإلهي

فكل إنسان أوقع حركته وفق النطاق الذي سمح الله به فهو ذو خلق .

لذلك الأخلاق كسبية تقوم باختيار ، ثم بإرادة ، ثم بفعل .

الآن النبي عليه الصلاة والسلام مع أنه كان قمة في كل شيء قال الله له :

( سَفَرْنَا فَمَا نَنْسَى )

[ سورة الأعلى الآية : ٦ ]

القرآن يتلى عليه مرةً ف يحفظه ، كان جميل الصورة ، فكل خصائصه التي تعينه على أداء



الرسالة منحه الله إياها ، إنها وسائل الدعوة ، إلا أن الله حينما أثنى عليه أثنى على خلقه فقط . الأمر يتضح تماماً كما لو أن ابناً طلب من أبيه قصراً ، وأبوه ملك ، فمنحه القصر ، طلب طائرة خاصة فمنحه طائرة خاصة ، طلب يخبأ فمنحه الليخت ، لكن لا يعقل أن يكرم هذا الابن حينما يمنح يخبأ أو طائرة ، أما حينما يتفوق في دراسته ، وهي من كسبه يكرم .



لذلك كل أدوات الدعوة من فصاحة إلى ذاكرة قوية إلى حكمة إلى ... هذه كلها من خصائص الدعوة ، وقد تفضل الله على النبي عليه الصلاة والسلام ، لكن حينما يمدح النبي صلى الله عليه وسلم يمدح بشيء من كسبه ، ألا وهو الخلق، فالخصائص قد تكون وهبية ، بينما الخلق هو كسبي ، قال تعالى :

### ( وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ )

[ سورة القلم : الآية ٤ ]

السيدة عائشة سئلت عن خلقه فقالت :

### (( كَانَ خُلُقَهُ الْقُرْآنَ ))

[مسلم]

لو قرأت القرآن الكريم كله ، أثنى الله على الصادقين وكان صادقاً ، أثنى على المتصدقين وكان متصدقاً ، أثنى الله على الصابرين وكان صابراً ، فما من صفة وردت في القرآن الكريم فاضلة إلا والنبي صلى الله عليه وسلم تمثلها قلباً وقالباً ، إذا كانت أخلاقه القرآن .

### مكارم الأخلاق :

وقال بعضهم :

الكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي ، وقد جمعت مكارم الأخلاق في آية ، قال تعالى :

### ( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ )

[ سورة الأعراف : الآية ١٩٩ ]

كلمة

### ( خُذِ )

تعني شيئاً ثميناً ، أنت حينما تعفو عن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك فأنت قد أخذت العفو ، عفوت عنه حينما قطعك فوصلته ، و عفوت عنه حينما حرمك فأعطيته ، و عفوت عنه حينما ظلمك فأنصفت معه .

عن أبو هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(( أَمْرِي رَبِّي بِتَسْعَ : خَشْيَةَ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى ، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى ، وَأَنْ أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي ، وَأَعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي ، وَأَعْفَوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي ، وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْرًا ، وَنُطْقِي ذِكْرًا ، وَنَظْرِي عِبْرَةً ، وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ ، وَقِيلَ : بِالْمَعْرُوفِ ))

[ ساقه القرطبي في تفسيره بصيغة التمريض ]

( خُذِ الْعَفْوَ )

الآن الأوامر :

( وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ )

العرف ما تعرفه الفطر السليمة بداهة ، لك فطرة سليمة أيها الإنسان ، إنك في أصل تركيبك ، وفي أصل جبلتك ، وفي أصل فطرتك تحب الصدق ، تحب الإنصاف ، تحب الرحمة ، الله عز وجل أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو ، ويأمر بالعرف ، يجب أن تأمر أيها النبي - صلى الله عليه وسلم - بالقيم الأخلاقية التي فطر الإنسان عليها .

( وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ )

والناس يستجيبون أو لا يستجيبون ، يمدحون أو يذمون ، الإنسان المتفلسف لا تعجبه مكارم الأخلاق ، يجب أن يأخذ ما ليس له ، يجب أن يعتدي على أعراض الآخرين ، قال تعالى :

( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ )

[ سورة الأعراف : الآية ١٩٩ ]

وثمة أحاديث صحيحة تبين أن أئمة الدين على الإطلاق حسن الخلق .

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ :

(( الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ))

[مسلم]

من أوسع الكلمات دلالة على مكارم الخلاق :

(( الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ))

ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :

(( سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : التَّقْوَى ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ،

وَسُئِلَ : مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ ؟ قَالَ : النَّجْوَانُ ، الْقَمُّ وَالْفَرْجُ ))

[ابن ماجه ، أحمد]

يعني شهوات الطعام والجنس .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

**(( إِنِّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا ))**

[ أحمد ، الترمذي ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

**(( أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَانِهِمْ خُلُقًا ))**

وَعَنْ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

**(( إِنِّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ))**

[ أبو داود ، أحمد ]

الإنسان صائم في النهار ، قائم في الليل ، يأتي الذي له أخلاق حسنة فيسبقه بهذه الأخلاق .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

**(( أَنَا زَعِيمٌ بَيِّتٌ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبَيِّتٌ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ**

**تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا ، وَبَيِّتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ ))**

[ أبو داود ]

المراء المشاحنة ، وإن سألتني : هل يمكن أن يضغظ الدين كله بكلمة بعد صحة الاعتقاد ؟ الجواب : حسن الخلق .

هذا الأمر دعا بعض كبار العلماء أن يقول : الإيمان هو الخلق ، ومن زاد عليك في الإيمان زاد عليك في الخلق .

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

**(( إِنِّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ أَبْغَضْتُكُمْ إِلَيَّ وَأَبْغَضْتُكُمْ**

**مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ التَّرْتَارُونَ ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ ، وَالْمُتَفِيهِقُونَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ**

**عَلِمْنَا التَّرْتَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ ))**

[ الترمذي ]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِي اللَّهِ عَنْهُ قَالَ :

**(( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ ، كَانَ عَرَقُهُ اللَّوْلُؤُ ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأ ، وَكَأَنَّ**

**مَسِسَتْ دِيْبَاجَةً وَكَأَنَّ حَرِيرَةَ أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَأَنَّ شَمِئْتُ مِسْكَةٍ وَكَأَنَّ**

**عَنْبِرَةَ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ))**

[ مسلم ، أحمد ]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

**(( خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أَقَا قَطُ ، وَكَأَنَّ قَالَ لِي**

**لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا ؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا ))**

[ متفق عليه ]

## الفضيلة وسط بين طرفين :

أيها الإخوة الكرام ؛ شيء دقيق ، هو أن كل خلق محمود مكتنف بخلقين ذميين ، كل خلق محمود قبله خلق مذموم ، وبعده خلق مذموم ، والفضيلة وسط بين طرفين .

الجود خلق محمود ، أما الإسراف فخلق مذموم ، البخل خلق مذموم ، يوجد إنفاق عشوائي طائش ، يوجد تبذير ، يوجد إسراف ، ويوجد تقتير ، والجود بينهما .

التهور خلق مذموم ، الجبن خلق مذموم ، بينهما الشجاعة .

ما من خلق محمود إلا وقبله وبعده خلقان مذمومان ، فالفضيلة وسط بين طرفين .

الطيش خلق مذموم ، التهييب خلق مذموم ، الحلم بينهما .

الأناة فضيلة ، عدم الحركة إطلاقاً رذيلة ، لا يتحرك إلى شيء من شدة حذره وخوفه وقلقه ، يلغي عمله كله ، والتسرع خلق مذموم .

لو ذهبت إلى بنود الأخلاق كلها لا تجد خلقاً فاضلاً إلا ويكتنفه خلقان مذمومان ، لذلك قالوا : الفضيلة بين طرفين .

أيها الإخوة الكرام ؛ صاحب الأخلاق الفضلى يسبق الصائم القائم ، وقد يصل إلى أعلى درجات الجنة ، طبعاً أقول : الأخلاق الفاضلة التي بنيت على إيمان ، أما هناك أخلاق تبنى على الذكاء ، هذه أخلاق أهل الدنيا ، تقتضي مصلحته أن يكون صادقاً ، تقتضي مصلحته أن يكون منصفاً .



قلت مرة : إن الأخلاق التي تلفت النظر في العالم الغربي هي أخلاق أساسها الذكاء ، لأنهم يعيدون المال من دون الله فكانوا بهذه الأخلاق ، وإذا تضررت مصالحهم يصبحون وحوشاً ، أليس كذلك ؟ كان الامتحان صعباً ، وسقطوا ، مادامت الأمور كلها لصالحهم فهم صادقون ، منصفون ، يعرفون قيمة الإنسان ، تقتضي مصلحتهم ذلك ، أما إذا مست مصالحهم ينقلبون إلى وحوش كاسرة ، لذلك يجب أن نفرق بين أخلاق الأذكياء وأخلاق العباد المؤمنين .

المؤمن خلقه أصيل ، لا يتأثر لا بإقبال الدنيا ولا بإدبارها ، لا بتحقيق مصالحه ولا بتعطل مصالحه ، لا بالغنى ولا بالفقر ، الخلق الإيماني خلق ثابت ، خلق أصيل .

بينما الخلق الشيطاني خلق مبني على الذكاء ، ومبني على تحقيق المصالح ، فإذا مست المصالح يصبح هذا الأخلاقي وحشاً كاسراً .

**والحمد لله رب العالمين**